

التبيان في تفسير القرآن

(355) المطعم والمشرب والملبس إلى ما فيه الحياة. أخبرنا تعالى على وجه الامتنان على خلقه بأصناف نعمه انه مكن عباده في الارض بمعنى مكنهم من التصرف فيها، والتمكين اعطاء ما يصح معه الفعل مع ارتفاع المنع، لان الفعل كما يحتاج إلى القدرة فقديحتاج إلى آلة وإلى سبب، كما يحتاج إلى رفع المنع، فالتمكين عبارة عن حصول جميع ذلك. والارض هذه الارض المعروفة، وفي الاصل عبارة عن قرار يمكن أن يتصرف عليه الحيوان، فعلى هذا لو خلق مثلها، لكانت أرضاً حقيقة. وقوله " وجعلنا لكم فيها معايش " فاجعل وجود ما به يكون الشيء على خلاف ما كان، مثل ان تقول جعلت الساكن متحركاً، لانك فعلت فيه الحركة، ونظيره التصيير والعمل.. وجعل الشيء أعم من حدوثه، لانه قد يكون بحدوث غيره فيه مما يتغير به. وقوله " قليلا ما تشكرون " نصب قليلا ب (تشكرون)، وتقديره تشكرون قليلا. و (ما) زائدة. ويحتمل ان تكون مع ما بعدها بمنزلة المصدر، وتقديره قليلا شكركم. والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم، والحمد مثله. وقيل: الفرق بينهما ان كل شكر حمد، وليس كل حمد شكراً، لان الانسان يحمد على احسانه إلى نفسه، ولا يشكر عليه، كما انه يذم على اساءته إلى نفسه، ولا يجوز ان يكفر من اجل اساءته إلى نفسه. قوله تعالى: ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين (10) آية بلاخلاف. هذا خطاب من الله تعالى لخلقه بأنه خلقهم. والخلق هو احداث الشيء على تقدير تقتضيه الحكمة، لازيادة على ما تقتضيه، فيخرج إلى الاسراف،